أوراق 11

فلسطينيّة

الحرب على غزّة:
ماذا تريد الإدارة الأمريكيّة؟

ملف الحرب على قطاع غزّة (1)

خليل جهشان

تشرين الأوّل، 2023

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

أوراق فلسطينيّة 11
تشرين الأوّل، 2023

الحرب على غزّة: ماذا تريد الإدارة الأمريكيّة؟

خليل جهشان
أستاذ العلاقات الدوليّة والمدير التنفيذيّ للمركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات في واشنطن

هيئة التحرير: د. امطانس شحادة، وإيناس خطيب
التدقيق اللغويّ: حنّا نور حاجّ
مسؤولة النشر والانتاج: إيناس خطيب

العنوان: همغينيم 90 حيفا
البريد الإلكتروني: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

في السابع من تشرين الأوّل الجاري (2023)، شنّت حركة المقاومة الإسلاميّة "حماس" عمليّة عسكريّة سريعة ومتعدّدة الأوجه على إسرائيل، أطلقت عليها اسم "طوفان الأقصى"، أدّت إلى مصرع نحو 1,400 شخص، وجرْح 3,500 آخرين، وأَسْر قرابة 220 جنديًّا ومدنيًّا إسرائيليًّا. جاء الهجوم والخسائر البشريّة والماديّة انتكاسةً تكتيكيّة وسياسيّة وعسكريّة لصورة إسرائيل كدولة منيعة تتمتّع منذ فترة طويلة بالتفوُّق النوعيّ على الدول العربيّة المجاورة، فضلًا عن أنّ الهجوم أربَكَ إسرائيل التي استغرق ردّها عليه وقتًا طويلًا، بعد دعوات كثيرة وسريعة لردّ انتقاميّ على العمليّة. وهذا ما باشر به رئيس الوزراء الإسرائيليّ بنيامين نتانياهو، فعليًّا، إذ أعلن الحرب على حماس، وأعلن عن حالة الطوارئ القصوى في البلاد. وبدأت القوّات الإسرائيليّة بشنّ حملة شعواء من الهجمات البرّيّة والبحريّة والجويّة اليوميّة ضدّ مئات الأهداف في قِطاع غزّة، غالبيّتُها مدنيّة، وهو ما أسفر عن مقتل أكثر من 5,000 فلسطينيّ حتّى كتابة هذه السطور، ثلثُهم -على الأقلّ- من الأطفال، وعن إصابة ما لا يقلّ عن 15,000 آخرين. ووَفْقًا للأمم المتّحدة، ثمّة ما يربو عن مليون نازح في القِطاع لا يعرفون ملجأً لهم لم تقصفه آلة الحرب الإسرائيليّة.

أمّا الولايات المتّحدة، الراعية الأقدم والأكبر لإسرائيل، فكان ردّ فعلها الأوّليّ عاطفيًّا مؤكِّدًا استمرار الدعم غير المحدود لإسرائيل. ووصف الرئيس الأمريكيّ جو بايدن عمليّة حماس بأنّها "أسوأ مذبحة للشعب اليهوديّ منذ المحرقة"، متجاهلًا تمامًا السياق السياسيّ للحدث، وهو استمرار الاحتلال العسكريّ الإسرائيليّ للضفّة الغربيّة وغزّة منذ 56 عامًا، بما في ذلك الحصار غير الإنسانيّ والمُحْكَم على قِطاع غزّة منذ عام 2007. ترك ردّ الرئيس الأمريكيّ هذا انطباعًا لدى المراقبين السياسيّين أنّ تاريخ الصراع الفلسطينيّ الإسرائيليّ لم يبدأ إلّا في السابع من تشرين الأوّل (2023)، متناسيًا عقودًا من الاحتلال والقمع والمهانة للشعب الفلسطينيّ. كذلك أكّد مرّة أخرى رفض الإدارة الأمريكيّة للتعامل الموضوعيّ والمنطقيّ والعلنيّ مع السياق العامّ لهجوم حماس على إسرائيل، وكأنّه وليد لحظته.

أربع مراحل ردّ الفعل الأمريكيّ

في الإمكان تقسيم ردّ الفعل الأميركيّ إلى أربع مراحل بُنِيت كلّ واحدة منها على ما سبقها. في الأيّام العشرة الأوائل، كان ثمّة ثلاث مراحل تبعتها رابعة. في المرحلة الأولى، عانت الولايات المتّحدة وحلفاؤها الغربيّون، كما عانت إسرائيل، من الصدمة العميقة والارتباك الناجمَيْن عن الهجوم الأوليّ، والذي كان ممكنًا نتيجة للفشل الاستخباراتيّ الذريع، والذي حتّى الآن يبقى غير مبرَّر أو غير مفهوم. فالاستخبارات العسكريّة والمدنيّة كان عليها اكتشاف أو توقُّع الهجوم ومنعه، ولكن ذلك لم يحصل. ونجَمَت عن هذا ضربة قويّة لسمعة إسرائيل كدولة محميّة ومحصَّنة ضدّ كلّ أنواع الهجمات. وما حصل كان اختلالًا واضحًا في جهاز الأمن المدنيّ والعسكريّ الإسرائيليّ الذي سمح لتنظيم لا يحظى بالكثير من التقدير أن يفاجئه بغارة كبيرة بهذا الحجم. ومن العجيب أيضًا في هذا الصدد أنّ الاستخبارات الأمريكيّة فشلت في توقُّع الهجوم، على الرغم من أنّ وكالة الاستخبارات المركزيّة الأمريكيّة (وهي التي تتعامل على نحوٍ وثيق مع الموساد الإسرائيليّ) ادّعت أنّها أصدرت في الأسابيع السابقة للهجوم تحذيرَيْن أمنيَّيْن لإسرائيل من أنّ ثمّة تهديدات من قِبل حماس. ولكن على ما يبدو، اعتُبِرت التقارير الأمريكيّة روتينيّة ولم تأخذها تل أبيب وواشنطن على محمل الجِدّ، وكان هذا خطأً فادحًا في المنظومة الاستخباراتيّة للبلدَيْن معًا.

المرحلة الثانية جاءت بعد أن تحوّل الموقف الأمريكيّ من الذهول والاندهاش إلى ردّ فعل متسرّع ركّز على الشدّ من عزيمة إسرائيل وعلى تزويدها بالمزيد من الأسلحة والمعدّات والذخيرة. ولكن هذا حصل بدون الأخذ في الاعتبار لتداعياتِ هذا الدعم الداخليّةِ أو الخارجيّةِ في الولايات المتّحدة، أو لمدّة وكيفيّة تأثير ذلك على شبكة واسعة من العلاقات المعقَّدة والوثيقة مع دول العالم العربيّ، وكذلك المصالح الوطنيّة الأمريكيّة مع هذه الدول؛ إذ إنّ الولايات المتّحدة اليوم منخرطة كلّيًّا في مساعدة إسرائيل على تطبيع علاقاتها مع دول العالم العربيّ، ولا سيّما المملكة العربيّة

السعوديّة. وظهر التناقض في الموقف الأمريكيّ أثناء جولة وزير الخارجيّة الأمريكيّ أنتوني بلينكن المكّوكيّة في ستّ دول عربيّة (مصر؛ الأردن؛ السعوديّة؛ الإمارات العربيّة المتّحدة؛ البحرين؛ قَطَر)، محاولًا استعادة المبادرة وإدارة العلاقات وتأكيد فكرة التوازن في علاقات الولايات المتّحدة مع هذه الدول، إلى جانب السلطة الفلسطينيّة التي لم يكن لها في الأساس أيّ دَوْر للتأثير على الوضع.

أمّا في المرحلة الثالثة، فقد سعت الإدارة الأمريكيّة إلى منع توسُّع رقعة الحرب خارج حدود غزّة من خلال جهود دبلوماسيّة، وخاصّة التوسّع على الجبهة الإسرائيليّة الشماليّة مع حزب الله عبْر الحدود اللبنانيّة الإسرائيليّة. ولكن الإدارة في هذه المرحلة أصرّت على إطلاق يد إسرائيل التدميريّة في "حرب انتقام" وحشيّة ضدّ قِطاع غزّة، وذلك بالرغم من وجود أسرى إسرائيليّين في القِطاع في يد حماس وغيرها من الفصائل، فضلًا عن استعراض الإدارة الأمريكيّة قوّتها العسكريّة في المنطقة من خلال إعادة نشر مجموعة من السفن الحربيّة، يمكن أن تؤدّي إلى جرّ واشنطن إلى القتال، وهو على العكس من الهدف المعلن الذي أصدرته الإدارة التي قالت إنّ هدف هذه الخطوة هو منع اتّساع رقعة الحرب.

في المرحلة الرابعة، على الرغم من كلّ المحاذير والأخطار زار الرئيس بايدن شخصيًّا إسرائيل. وكان من المتوقَّع أن يعقد اجتماع قمّة في عمّان مع العاهل الأردنيّ الملك عبد الله الثاني، والرئيس المصريّ عبد الفتّاح السيسي، والرئيس الفلسطينيّ محمود عبّاس، غير أنّ القمّة أُلغِيت بعد قصفِ إسرائيل للمستشفى الأهليّ المعمدانيّ في غزّة، القصفِ الذي أدّى إلى مقتل ما يربو عن الخمسمئة شخص.

ولا يتوقّع أيٌّ من المحلّلين والمراقبين السياسيّين في واشنطن أن يغيّر الرئيس بايدن مسار هذه المرحلة أو بتعديل موقفه، وإن كان قد أعلن عن تقديم 100 مليون دولار من المساعدات الإنسانيّة لقِطاع غزّة، وعمل هو وفريقه على السماح للأمم المتّحدة أن توصل بعض المساعدات العينيّة من ماء وطعام إلى أهل غزّة المحاصَرين. عدم تغيير موقفه مَرُدُّه إلى الاعتقاد السائد في أوساط السياسة الخارجيّة الأمريكيّة التي ترى أنّ لكلّ حرب فرصها في الشرق الأوسط، ويجب على الإدارة استغلال هذه الفرصة قدر الإمكان. ولبايدن أَجِنْدة شخصيّة يرغب في تحقيقها من المرحلة الحاليّة تتلخّص في ما يلي:

1. يريد بايدن أن تساعده وقفته في هذا الصراع في الانتخابات الرئاسيّة القادمة في عام 2024. وهو يعتقد أنّ موقفًا مؤيّدًا كلّيًّا لإسرائيل سيعطيه الدفع المرجوّ من أولئك الذين يرَوْن أنّ إسرائيل عانت الكثير من هذا الهجوم عليها وأنّه من الواجب مساعدتها.

2. يريد البيت الأبيض أن يبعث برسالة واضحة مُفادُها أنّ الولايات المتّحدة ستدعم إسرائيل مَهْما كانت الصعوبات والتداعيات لهذا الدعم، لأنّ ذلك -كما يعتقد الرئيس- يساعد في تحقيق حقّ إسرائيل بالدفاع عن النفس.

3. أكّد بايدن للعالم على نحوٍ واضح أنّ الهدف الأساسيّ والوحيد اليوم هو القضاء على حماس والإجهاز على قدراتها العسكريّة، وعلى أيّ تهديد يمكنها أن تشكّله لإسرائيل في المستقبل. كذلك أكّد أنّ هذه المَهَمّة يجب أن تكون سريعة وفعّالة. وبالطبع هذا يتناقض مع قوله قبل مغادرة واشنطن إنّه لا حلّ عسكريّ للقضيّة الفلسطينيّة، وأنّه يظنّ أنّه من الخطأ للجيش الإسرائيليّ أن يحتلّ قِطاع غزّة.

4. كرّر بايدن مرارًا أنّه لا يقبل بمهاجمة المدنيّين، وأنّه تجب حمايتهم من العمليّات العسكريّة، لأنّ للحروب قوانينها التي تلتزم بها الدول الديمقراطيّة. وكانت هذه محاولة هزيلة لإرضاء بعض الدول العربيّة التي رفعت صوتها مطالِبة بحماية المدنيّين وإيصال المساعدات الإنسانيّة لهم.

5. أمّا في الداخل الإسرائيليّ، فقد حاول بايدن ونجح في مسعاه مساعدة الإسرائيليّين على تنصيب حكومة طوارئ جديدة لقيادة البلاد بعد هذه المرحلة، وكذلك إنقاذ نتنياهو من الأزمة السياسيّة المتشكّلة من هجوم حماس. وبايدن لا يريد فقط من الإسرائيليّين أن يتعاملوا مع المرحلة القادمة، بل يريد أن يبقى على مسار مساعدتهم للتطبيع مع المزيد من الدول العربيّة.

6. لا تزال الولايات المتّحدة منخرطة كلّيًّا في الملفّ الإسرائيليّ وفي الحرب الإسرائيليّة على غزّة، متمسّكة كلّيًّا بدعم حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها ومنع إمكانيّة العودة إلى ما قبل السابع من تشرين الأوّل (2023). وتكاد الإدارة تنسى كلّ مَهَمّاتها الأخرى الداخليّة والخارجيّة لمساعدة إسرائيل على تخطّي أخطار المرحلة القادمة. ولكن تبقى هناك تحدّيات كبيرة تواجه الإدارة في طريقة التعامل المنحاز إلى إسرائيل ضدّ الفلسطينيّين، والتي ستزداد تعقيدًا إذا انفجر الوضع مع حزب الله على حدود إسرائيل الشماليّة.

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية